منظمة الطليعة العربية في تونس

المؤامرة على البعث والوطن العربي

بعض من حقائق الفكر والتاريخ والجغرافية



منشورات الطليعة

2012

المؤامرة على البعث والوطن العربي

بعض من حقائق الفكر والتاريخ والجغرافية

انطلاقا من الإيمان بأن الشعور البعثي ولد مع الانسان العربي عند أول انتكاسة تعرضت لها الأمة بينما كانت تقدم للانسان الحضارة الأرقى، وذلك لإعادة بعثها من جديد، فالرسالة الانسانية والقيمة الحضارية التي اتسمت بها الأمة العربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم، والموقع الجغرافي الذي تشغله، والعلاقة البينية التي حققتها حتى أصبحت الممر الآمن ما بين شرق الأرض وغربها، والثقافة الانسانية بكافة فروعها إلى جانب الإضافات التي كانت سببا في تنوير المجتمع الانساني برمته، كل ذلك كان وراء ما تعرضت له الأمة العربية في القديم من مؤامرات .

في العصور الوسطى وحتى مرحلة النهضة العربية التي كانت فيها انتفاضة الأمة ضد الاستعمار التركي والغربي، وخوفا من نهوض الأمة العربية بمعنى بعثها من جديد وتحقيق وحدتها بعد استقلالها، تعرضت أيضا لأبشع أشكال المؤامرات بغية الحيلولة دون استفاقة المارد العربي، فجاءت إحداها تحت عباءة الخلافة العثمانية التي ابتدعها السلجوقيين الأتراك، ثم تتالت بسايكس بيكو ووعد بلفور والانتداب الغربي، وغيره من المؤامرات التي لم يكن لها هدف سوى تفكيك الأمة العربية وشرذمتها وإضعافها .

وما زالت المؤامرات التي نتهم نحن العرب بأننا نستخدمها شماعة نعلق عليها كل خيباتنا وانكسارتنا وفشلنا ما زالت مستمرة، فهي تلاحقنا للاسباب التي ذكرنا .

هذه المؤامرات تصدى لها شرفاء العرب وعلى رأسهم القوميون، وفي مقدمة القوميين البعثيون الذين ما فتئوا تشغلهم القضايا القومية ومستقبل الأمة .

لقد كانت النقاط المضيئة ومصادر اشعاع الأمة فقط تشكل المسوغات الأساسية لكل المؤامرات التي حيكت وتحاك ضد الأمة العربية، فالمزدوجة الأيديولوجية التي شكلت الرقم الصعب في مواجهة المؤامرات، حزب البعث العربي الإشتراكي الذي يعتبر المرتكز الأساس للقومية العربية والذي انتهج الفكر القومي التحرري الاشتراكي خلال عقود طويلة، والذي ومن خلال ريادته للعمل القومي التقدمي، ومن خلال سعيه لتحقيق الدولة المدنية العلمانية التي تمثل التحرر الحقيقي من التسلط و الفكر الرجعي، ومن خلال صموده الاسطوري في وجه العدو الصهيوني العدو الأول للأمة العربية المدعوم من قبل الامبريالية العالمية، حتى بات حزب البعث عنوانا للمقاوم والصمود والرفض العربي في زمن الخنوع والخضوع .

وخوفا من التفاف الجماهير العربية في كل أقطارهم حول الموقف القومي الحكيم والعروبي لحزب البعث العربي الإشتراكي ولأن مصلحة الصهيونية والمصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية لأعداء الأمة العربية في منطقتنا باتت مهددة، لهذه الأسباب مجتمعة، كانت المؤامرة الكبرى المركبة والتي تستهدف الأمة العربية وحزبها العظيم حزب البعث العربي الاشتراكي.

لقد انقضى منذ بداية التاريخ المكتوب وحتى الآن ما لا يقل عن ستة آلاف عام، والشرق الأدنى ومنه المشرق العربي مركز الشؤون البشرية الذي شع إلى العالم علمه، وإذا ذكرنا هذا اللفظ المبهم لهذا الشرق فإنا نقصد به جميع بلاد أسية الجنوبية الغربية الممتدة جنوب روسيا والبحر الأسود، وغرب الهند وأفغانستان وسنطلق هذا الاسم أيضا على مصر لأن هذه البلاد كانت شديدة الاتصال بذلك الجزء من العالم كما كانت مركزا انتشرت منه الحضارة الشرقية .

على هذا المسرح نشأت الزراعة والتجارة، والخيل المستأنسة والمركبات، وسكت النقود، ونشأت الحِرف والصناعات، والشرائع والحكومات، وعلوم الرياضة والطب، والهندسة والفلك، والتقويم والساعات، وصورت البروج، وعرفت الحروف الهجائية والكتابة، واخترع الورق والحبر، ونشأت الآداب والموسيقى والنحت والهندسة، وصنع الخزف المطلي المصقول، ونشأت عقيدة التوحيد، واستخدمت الحلي واستخدمت المرضعات وشربت الكحول .

وعرفت كل هذه الانجازات الحضارية الانسانية واستمدت منها أوروبا وأمريكا ثقافتهما على مدى قرون عن طريق كريت واليونان والرومان، قصارى القول أن الآريين لم يشيدوا صرح الحضارة بل أخذوها عن بابل ومصر، وأن اليونانيين لم ينشئوا

الحضارة انشاء لأن ما ورثوه منها أكثر مما ابتدعوه، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مض عليها 3000 عام وجاءت إلى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ...

فإذا درسنا الشرق الأدنى (ومنه الجزء الأهم الوطن العربي) وعظمنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأمريكية وهو دين كان يجب أن يؤدى منذ زمن بعيد .(هذا ما قاله ول ديورانت في قصة الحضارة)

(الآريون أو الهند أوروبيون : اسم أطلق على الشعوب القاطنة في الشمال والمتحدرة من يافث بن نوح ألذي له سبعة أبناء عمروا أوروبا وقسما من الهند الغربية ولغاتهم تنتمي إلى اللغات الشبيهة باللغتين اللاتينية والاغريقية ...

الساميون : ذرية سام بن نوح ومهدهم شبه الجزيرة العربية ولغاتهم متشابهة كالسريانية والعربية والفينيقية والعبرانية وغيرها .

الحاميون : ذرية حام بن نوح وهم أول من ابتعد عن المركز العام وشيد ممالك قديمة في شمال افريقية .

وهذا ما قالته الوثائق التاريخية ، وقبل أن نكمل نريد أن نذكر أن التاريخ الذي نتداوله اليوم هو نتاج المستشرقين الغربيين الذي غزوا منطقتنا ونقبوا عن آثارنا وصاغوا النتائج وفق غاياتهم، وبفعلهم هذا يذكروننا باليهود الذين وضعوا التوراة بعد قرون من رحيل موسى عليه السلام، وبعده وضعوا التلمود الذي أخذ به اليهود أكثر من التوراة ليؤكدوا عنصريتهم وخاصة ضد الشعب العربي، هؤلاء المستشرقون صاغوا أخبارنا على هواهم ونياتهم التي يعملون عليها . ولكن ما يطمئننا أن الحقيقة العلمية تقول أن المنقبين عن الآثار حتى الآن لم يمسحوا أكثر من 5 ٪ مما هو في باطن الأرض العربية، من هنا يمكن القول أنه آن الأوان لتسجيل التاريخ العربي على حقيقته الانسانية بشفافية وموضوعية .

وبكل أسف نقول أن بعض الدارسين العرب يتلقفون الصيغ التي يقدمها المستشرقون كما تتلقف الأرض الواطئة كل أنواع المياه، ودون أن يجهدوا أنفسهم في البحث عن حقيقتها، إنهم يتلقفونها كحقائق علمية لا تقبل الجدل، يملي ذلك عليهم احساسهم بالخواء الثقافي أمام كل ما هو غربي، إن خوف هؤلاء من العلم أشد وأخطر من الجهل، إن الأمر يتطلب إرادة فقط وبعض الاقدام على الرؤية بعين فاحصة، عندها سيرون كيف يكبر فجأة وطنهم ليتحول إلى قاعدة لكل المتمدنين في العالم كما قال أندريه بارو مدير متحف اللوفر في باريس .

وللتذكير : ما بين مجرى الفرات ودجلة وجدت المدن السومرية : إيريدو، أور، أوروك، لارسا، ولكش، ونبور، ثم مملكة أكاد التي أسسها سرجون الكبير . وجد علماء الآثار الفرنسيون شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام 4500 ق . م إنها الثقافة السومرية التي تؤكد المكتشفات أنها الأقدم بين الثقافات المعروفة حتى الآن . (أريد أن ألفت إلى أن ول ديورانت بما سجله في قصة الحضارة لم يستطع أن يحدد هوية السومريين، إنما تكهن أن يكونوا قد قدموا من الشمال أو أنهم من الشعوب الهندو اوروبية، وهو الآخر بين المؤرخين الأجانب يثبت المقولة التي ذكرتها أن هؤلاء المؤرخين الغربيين لا هم لهم سوى تشويه التاريخ العربي، لأنه يعترف في مكان آخر على أنهم يكتبون من اليمين إلى اليسار، وأنهم كانوا يعبدون الآلهة التي عبدها الأكاديون والبابليون فيما بعد، وابتعد عن احتمال أن يكونوا من الشعوب السامية التي هي شعوب المنطقة منذ الأزل) وبالتالي كأنه يريد أن يقول أنهم يمكن أن يكونوا أي شيء آخر إلا أن يكونوا عربا .

تحدثنا حول أقدم الثقافات التي وجدت في المنطقة العربية لأقول : أن فكرة الهجرات التي يتحدث عنها المستشرقون هي فكرة خاطئة يدحضها العلم والمنطق ولسنا بصدد مناقشة هذا الموضوع وأرجو أن تعتبروه مجرد رأي يحتاج إلى اثبات، وأن الشعب الذي يقطن هذه الأرض منذ أقدم الأزمنة هو شعب واحد، أطلق عليه الميثيولوجيون والآثاريون أسماء عديدة بدءا من السومريين انتهاء بالفينيقيين مرورا بالأكاديين والبابليين والآشوريين والأموريين وغيرها من التسميات، وأقول ذلك لأن هذا الشعب هو أساس الحضارة العالمية، وأنه كان يمر بين فترات نهوض وهمود لأصل إلى أن المرحلة التاريخية التي سبقت الدولة العربية الاسلامية والتي سميت بالجاهلية ما كانت سوى حالة همود للأمة العربية، وما سأعرضه بإيجاز إلا دليل على عظمة هذه الأمة في كل مراحلها ودلائل على هويتها في كل المراحل ...

لا بد أن يكون آدم وزوجته يتكلمان العربية بلهجتها الأم قبل خروجهما إلى مناطق السريان بعد خسارة الجنة، فحواء من صميم جزيرة العرب، وهذا ما تؤكده المصادر العربية، ففي سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للبغدادي نقرأ في الحديث عن آدم : وكانت لغته في الجنة العربية فلما عص واخرج من الجنة سلبه الله العربية فتكلم بلهجتها السريانية الجبلية .

وجاء في تاريخ الطبري وقد حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن وهب عن وعن وعن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله (ص) يا أبا ذر اربعة (يعني الرسل) سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو أول من خط القلم وأنزل الله تعالى على خنوخ ثلاثين صحيفة

كلمة سريان (سرن) لم تقتصر على العرب السومريين ومنطقة الخليج وعلى جبل السراة بل تعدتها لتمتد إلى شواطئ الخليج وامتدت إلى كل مناطق الهلال الخصيب الشرقية والشمالية الشرقية من أبناء (سر) و(مر) وأبناء قابيل والعمالقة، والجبابرة وبعض الكنعانيين فيما بعد .

حضارة الأكاديين والبابليين والآشوريين إنما كانت جميعها تنتمي إلى شعب واحد ولغة واحدة . إنها حضارة العرب السريان السوريين، فقد جاء في مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي : أن ملك أهل نينوى وضع عليهم بعده امرأة يقال لها (سميرام) (سمير أميس) فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل وأهل نينوى كانوا سريانيين .

وأما اسماعيل جد العرب العدنانيين فقد شب على لهجته السريانية الشرقية، ثم تزوج امرأة من جرهم وهم من أصول عربية عاربة الخالصة من الشوائب (الشديدة العروبة) فصار يتحدث بالعربية الأم وليس باللهجة السريانية، زوجة اسماعيل وأم أولاده الاثني عشر هي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ...

وعلى الرغم من المآسي التي مرت على أبناء الأمة العربية عبر التاريخ إلا أنهم بقوا ملتزمين ومتعلقين بأصولهم الدموية، فهاهم يحافظون على تسلسل أنسابهم، وحافظوا عليها جيلا بعد جيل وتناقلوها شفوية ومكتوبة في الشعر وفي النثر، وصار بينهم اختصاصيون بعلم الأنساب ومنهم أبو بكر الصديق فكان من مشاهير النسابين، ولم يكن ذلك نابعا من تعصب عرقي بقدر ما كان تأكيدا على تسلسل المكارم والشيم التي يعتز بها كل عربي . والنسب هو الذي جعل جميع القبائل العربية ترحب بابراهيم الخليل في رحلته من العراق إلى الجزيرة العربية، إلى أرض السراة إلى أرض كنعان إلى مصر، ثم السراة فمكة . والنسب هو الذي جعل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، يشير إلى بنت حاتم الطائي حين وقعت بالأسر بين السبايا اللواتي أسرهن المسلمون أن تعرف عن نفسها حين مر الرسول بهن، والنسب هو الذي جعل الرسول الكريم يفك أسرها ويرسلها إلى أهلها ويقول : رحم الله

أباك فقد كان يحض على مكارم الأخلاق، إن مكارك الأخلاق هي التي جعلت الرسول العربي وعلي يشعران بأن حاتم الطائي كان مسلما بسلوكه ومناقبيته دون أن يسلم .

إن وعي العربي لنسبه لا ينفصل عن وعيه لوجوده نفسه، إنه نوع من التربية على المناقب والمحافظة عليها لأن في ذلك بالنتيجة هو حفاظ على الذات القومية ...

على كل انسان أن يتخيل البشرية دون اولئك الرجال العرب الأوائل أمثال : سرجون، وحمورابي، وابراهيم، وموس، وعيس ومحمد، وعمر وعلي، أو زينون، ومارينوس، والكندي وابن سينا، وابن رشد، وابن الطفيل وابن النفيس، والبتاني والخوارزمي، والحسن ابن الهيثم، وغيرهم، إن هؤلاء الرجال العبقريات الخالدة تؤكد على خصوبة الرحم للأمة العربية، إن هؤلاء لم يكونوا نيازك هبطت من السماء فتوهجت وانطفأت، إنها من الطينة البشرية العربية المُشكلة تاريخيا ثقافيا سياسيا اقتصاديا بيئيا عسكريا وإرثيا، إنهم عناوين بارزة في صفحة الأمة التي مارست صنع الحضارة منذ آلاف السنين .

نستعرض أمامكم هذا التاريخ المجيد لأمتنا العربية لنذكر من يقول بأن الشعور القومي وبالتالي القومية العربية هي حديثة الولادة ولم يكن هناك أي رابط قومي يربط أبناء الأمة الواحدة، بأنه كان على خطأ، فالأمة العربية قائمة على الدهر (ليس لها بداية وليس لها نهاية) ولنقول : أنها كانت مهابة يتخوف منها أعداءها عندما تكون في أوج ازدهارها وعنفوانها، وفي مراحل همودها يخشون استيقاظها، ففي الحالتين كانت عرضة للمؤامرة، ونؤكد : أن من أسباب النصر دائما الاعتزاز بالانتماء القومي الذي ينجم دائما عن فهم الأجيال لتاريخ أمتهم والشعور بالفخر الذي ينتابهم عند معرفة الانجازات الانسانية التي قدمتها للبشرية .

وأبشع أشكال المؤامرة هي التي تعرض لها الوطن العربي في العصر الحديث، والتي شكلت الدافع الأساس للتفكير الجدي ببعث الأمة العربية من جديد، كان الاستعمار التركي الأسود، أربعمائة سنة أطبقت عليها العثمانية لترسخ في عقول شباب الأمة العربية لمئات السنين الجهل والتخلف، أربعمائة سنة والعثمانيون الذين يأتمرون بأوامر اليهود، لا بل بأوامر الصهيونية العالمية التي فرخت يهود الدونما الانكشاريون الذي أخذوا العرب من المحيط إلى الخليج إلى أعماق مجاهل الجهل، وعناوينهم شاهد عليهم، فجميعكم يلحظ أن لا أثر حضاري يذكر بهؤلاء الأتراك، ما نذكره عنهم هو ما كانت تتناقله الجدات والأجداد عن سفر برلك، وظلم الجندرمة، والاقطاعيات الواسعة التي ما زالت مسجلة بأسماء أميرات خانم التركيات حتى الآن، والتاريخ سجل مؤكدا على أن عظمة البناء الذي ارتفع بالأستانة قسطنطينية بلاد الترك شيدت كلها بخبرات ومهارات وعرق ودماء الشباب العربي التي كانت تصادر من أنحاء الامبراطوية (الخلافة) العثمانية، وبأموال وخيرات العرب .

كلمتا عروبة وعرب هما مصدران لفعل عرب فالأول يفيد في الإبانة والثاني يعين : من أفصح وأبان، العرب العرباء : الصرحاء الخلص أعربهم نسبا أي أبينهم وأوضحهم، كلمة استعرب تعني صار دخيلا بين العرب، فقد أصبح تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ومستعجمة قائما على مبدأ البيان، من كان يعرب على السليقة فهو من العاربة، ومن كان يعرب تكلفا وتصنعا فهو من المستعربة، أما العرب المستعجمة فهم الشعوب السامية التي انحرفت أداة بيانها عن العربية السليمة أي عن الفصحى .

والعربية جذورها أصوات طبيعية ومسالك نموها متسمة بالتقدم نحو أداة بيانية متكاملة، أما ما وقى اللسان العربي من عاديات الزمان فأبقاه كمثال حي لنهج الحياة في ايجاد اللسان فهو أن اللفظة قد ظلت فيه تحت رقابة المعنى، وقد ظل الحدس المنطوية عليه ارومة الكلمات مشرفا على عملية استحداث المشتقات بحيث كان التلازم على أتمه بين المعنى والخيال المرئي من جهة وبين الصوت من جهة ثانية .

العرب كنظام حياة يتميزون به عن غيرهم من الأقوام، فيدل انصهار الشعوب السامية في بوتقة العروبة انصهارا كليا على اشتراك هذه الشعوب في ارومة واحدة، وتعبيرا عن هذه الحقيقة نستشهد بما قاله أحد شعراء اسبانيا المعاصرين : إننا ورثنا عن أجدادنا العرب أنبل ما لدينا من تراث .

إن مشاكلنا القومية الكبرى ترجع مبدئيا إلى عاملين أساسيين : موقع بلادنا في الدنيا، وما حملنا التاريخ من أعباء .

فمن متاخمتنا لتركيا نتجت بيننا وبينها مشكلة كيليكيا ولواء اسكندرون ، ومن متاخمتنا لإيران نتجت بيننا مشكلة الأحواز والبحرين والجزر الإماراتية الثلاث ، وتلك المشاكل حلت على حساب العرب، السؤال الذي نطرحه دائما : لماذا سايكس بيكو كانت على حساب العرب الذين كانوا حلفاء الحلفاء المنتصرين في الحرب الكونية الأولى ولم تكن على حساب إيران أو تركيا التي خسرت الحرب ؟ أم أن هناك مؤامرة دولية على العرب ؟ .

ويقول أن الاسباب التي تدعو فرنسا لاتخاذ مواقف ضد العرب هي : خوفها من الوحدة العربية، وحرصها على البقاء في المغرب العربي، ومرامي السياسة الفرنسية في احتلال لبنان وسوريا ليس نشر الثقافة كما تدعي فرنسا، بل لاتخاذ القطر العربي السوري كقاعدة تحاول منها منع تطورنا ودرء خطر هذا التطور في المنطقة العربية . لقد أدلى مستشرق فرنسي بنصيحة إلى أحد الحضور عند إلقاء محاضرته قال فيها : إذا كنتم أنتم السوريون ترغبون في تحسين أحوالكم ونيل الاستقلال فعليكم أن تبرهنوا لفرنسا بأنكم لستم عربا، وأنتم تبرهنون لها عن ذلك إذا حولتم لهجتكم العامية إلى لغة الأدب والكتابة بدلا من الفصحى، ودونتموها بالأحرف اللاتينية، وعلى قدر تقدمكم في هذا المضمار تنالون من الاستقلال ... إذن خصم الاستعمار هو العروبة القائمة على الدهر منذ فجر التاريخ حتى اليوم، والمهيمنة على النفوس من جبل طارق إلى البصرة، وفرنسا تعتبر البلد الأشد خصومة للعرب، وقد يرجع ذلك إلى أسباب تاريخية بعيدة، منها النزاع بين الآريين والساميين على سيادة العالم، ذلك النزاع الذي بلغ ذروته حين قاد هانيبال جيوش قرطاجة إلى روما، أو حين قاد الغافقي جيوش العرب إلى قلب فرنسا .

ومثال آخر يقول : نشرت مجلة العمل الفرنسية مقالا قالت فيه : أن راعيا من رعاة العرب في تونس كان يسوق قطيعه في الجادة، وكانت بقرة من القطيع قد انفصلت عنه ورعت بعض السنابل من الأرض المجاورة، وكان صاحب السنبلات في حقله ومعه بندقية مجهزة، وإذ به يصوب بندقيته لا على البقرة، بل على الراعي فيطلق النار عليه ويرديه قتيلا . أقام أهل القتيل شكوى على القاتل، وحكم على الرجل بمبلغ 150 فرنك جزاءا نقديا، لا لأنه قتل شخصا عربيا بل لأنه استخدم بندقية غير مرخص بها من قبل الحكومة . قدمت الصحيفة جوابا على الحدث : يجب علينا نحن الفرنسيون أن لا ننسى أن هذا الراعي ليس بزنجي بل عربي تجري في دمائه دماء عربية أصيلة .

والأمريكان قالوا : إن المعركة الفاصلة بهذا النزاع ما بين الخير والشر ستكون في بلاد العرب، ومن ينتصر في هذه المعركة يكون قد ضمن لنفسه النصر طيلة المرحلة التاريخية الراهنة، بعد كل ذلك فهل هناك من عجب إذا استكلب الأجانب للتدخل في شؤون العرب وعرقلة تطورهم باستخدام اسلوب المؤامرة ؟.

وأكثر من ذلك، حين احتل الأجانب بلادنا وجدوا من يتآمر معهم علينا من الدخلاء على بيئتنا، الذين ما ان امتلكوا زمام الأمور حتى استبدلوا أعوانهم بالوجهاء، وعندئذ طغت على البلاد زمرة من السفلة : من السياسيين المحترفين، والتجار المحتكرين، وحملة الشهادات المزورين، وعندها هان على الطغاة أن يجعلوا من الخونة قدوة يطمسون بها على الناس الفارق بين الفضيلة والرذيلة، وهان عليهم أن يجعلوا من الذين يكيدون للأمة قوامة يقتنصون بواسطتها المغفلين من أبناء الوطن فيدرجونهم في شباكهم بين المتآمرين.

إن ما سهل على الأجنبي اقتناص الناشئة هو حاجتها للمعيشة، فليس من مخرج للمتعلم إلا أبواب السرايا (ومن يأكل من خبز السلطان يضرب بسيفه)، وبنفس الوقت وعلى الرغم من ضريبة الحاجة لولا أن يهمل أولياء التلاميذ مصير أبنائهم، ما استطاع الأجنبي الهيمنة بهذه السهولة، إن في هذا الاهمال يكمن كل الخطر على مصير الأمة وعلى مستقبل أبنائها ويعتبر عامل مساند للمؤامرة ، فإذا كان الأجنبي قد سلب الأمة جهود المتعلمين في حل مشاكل الحياة العامة، فهو لم يسبب العقم في نفوسهم إلا بعد أن جفت في قلوبهم ينابيع المسرة ...فكيف تنمو الشخصية التآمرية إذن، إذا لم تنمو على خصائص كيدية ضد الأهل والوطن؟

ولم يكن يخفى على الأجنبي أن نهضة العرب تقوم على البعث، كان الأجنبي يتوقع ما ستؤول إليه نهضتنا من استقلال واتحاد، وكان يستبق الحوادث فيحاول تضليل الجمهور عن أمانيه بضجة مصطنعة، وذلك بدفع الأوباش إلى إثارة نعرات اقليمية ليس لها محل في الحقيقة، كجمعية مصر الفتاة في مصر، وجمعية فينيقية الجديدة في لبنان، والكتلة الوطنية في سوريا، حتى أنه لم يتورع عن استثمار المغفلين في حلب ضد دمشق والبصرة ضد الموصل وشمال الجزائر ضد جنوبها ، وكأن العروبة قد اندثرت، فلكل اقليم قوميته، وكأن القومية تتشكل بأمر المندوب السامي والمتآمرين.

متناسين أنه لا يوجد هدف يبعث بخيال أفسح مما تبعثه العروبة في نفوسنا كعرب، وبإلقاء نظرة على أمتنا عبر الزمن نرى تاريخها يرتقي إلى أصول الانسانية، وإن نسرح الطرف في العالم نرى بلادنا فيه بمثابة القلب من الجسد، وأي هدف تلتقي فيه أماني العرب غير استقلال العروبة بالمصير عن كل دخيل ؟.

إن التفكير القومي، وإن كان أصيلا في الطبع البشري ويعتبر مصدر المثل العليا ومنهل الشرائع والأنظمة، إلا أنه لم ينطلق صرفا في أية مرحلة من تاريخ البشرية انطلاقته في الحضارة المعاصرة، إذ أن جميع مظاهر الحياة كاللغة والتشريع والفنون تبدو في هذه الحضارة كتجليات لعبقرية الأمة، مع البيان بأن الفكر القومي يؤمن بالديالكتيك(الجدل)، ويعتبر أن الحرية والانسانية تتلازمان، وعلى تلازمهما تقوم القيم الأخلاقية.

إن الأمة العربية وهي ينبوع الشعوب السامية كافة، تعيش بذاتها، لم تأفل منذ ظهور الانسان على مسرح التاريخ، إنها أبدا مشرقة بنورها على الانسانية، وقد تبدو أحيانا مفككة متناثرة، أبناؤها منزوون في قوقعة من الأنانية، إلا أنها لا تلبث حتى يسطع

منها نبي أو زعيم، فيبعث فيها من جديد، ويلقي النور الحاصل من تأججها شفقا على العالم أجمع فيهدي الأمم بمنارته إلى تحقيق رسالتها، عند ذلك تتحدى هذه الأمة تقديرات الآخرين.

وجاء في أدبيات البعث :

ولأن البعث العربي الاشتراكي رائد الفكر القومي العربي استطاع أن يكشف لأول مرة بأن ما تحتاجه الأمة العربية ليس اصلاحات اقتصادية أو حركة سياسية فحسب، وإنما كانت بحاجة إلى روح جديدة ونفسية تعيد إلى الأمة ثقتها بنفسها وباماناتها الذاتية، ولقد سبر الحزب أغوار المرحلة واكتشف مواطن الضعف فيها وتعرف على الدواء الحقيقي لأمراضها .

لذلك لم يكن حزب البعث العربي الاشتراكي حركة سياسية فحسب وإنما حركة حضارية شاملة بعثت الحياة الجديدة في الأمة وفجرت امكانياتها، لقد كانت نضالا على كل المستويات، فخاطبت الجيل الجديد وحركت أعماقه، فاندفع يمزق البالي والزائف، وتميز نهجه العلمي في تحليل الواقع عن منهج الاستسلامية العلمية للشيوعية . ومن تجارب وخبرات الماضي والحاضر كان البعث يستشرف المستقبل ويضع الحلول المناسبة لكل الاحتمالات التي يمكن أن تواجه مشروعه القومي، وبذلك كان حريصا على وضع الخطط المستقبلية وفق المتوفر من الأدوات وباتباع آليات خاصة لتنفيذها . لقد كان المتآمرون على البعث من الأغيار هم من أكثر الناس فهما لأهداف البعث وحقيقة المآلات التي يصبو إليها، لأجل هذا يكنون الحقد عليه، ويخططون بالتآمر عليه، ويخضعون كل الأفكار السياسية التي يعملون على نشرها وتوزيعها إلى عمليه مراقبة وإعادة صياغة لتتوافق مع فكرهم التآمري ثم يتم توزيعها .

ما أشبه ما يحصل اليوم بما كان قد حصل بالأمس ...

فالمؤامرة هي نفسها التي تصرخ بأعلى صوتها، إنها تقول : لا بد من تطويعكم بترويضكم أيها العرب، لن نسمح لكم بتحقيق أي هدف من أهدافكم، بإقامة أي شكل من أشكال الوحدة أو حتى التضامن معا في صف واحد، بل سنسمح لكم بتطوير تربيتكم لبناء مجتمعكم الاستهلاكي، وسنسمح لكم بالاقتتال فيما بينكم بغية انهاك جيوشكم ومن ثم وبكل بساطة يمكننا السيطرة على دفة سفينتكم وتوجيهها كما نرغب .

إن ما سمي بثورات الربيع العربي في حقيقته ما هو سوى مؤامرة على التيار التقدمي في الوطن العربي ، والمؤامرة التي أتت بها هذه الفوضى الخلاقة تستهدف بالدرجة الأولى الأقطار الصامدة المقاومة والمعادية للمشروع الإمبريالي الصهيوني الرجعي ، ونعتقد أن النسبة الغالبة من المجتمع العربي يدرك هذه الحقيقة . وإلا ماذا يعني عدم استهداف الأنظمة الرجعية العربية ؟، وماذا يعني استهداف الجيوش العربية التي يمكن أن تهدد العدو الصهيوني ؟ و استهداف الفكر التقدمي العربي والعلماني ؟ وماذا تعني حالة الفوضى والتشتت التي تعيشها أمتنا العربية ؟ وماذا يعني تزعم الامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية العربية وتحالفهم ضد البعث والبعثيين في الوطن العربي ؟ وماذا يعني الرصيد اللامحدود الذي قدمه النعاج العرب للتكفيريين الذين لا يعرفون ولا يعترفون بأي دين أو أخلاق ؟ .

بالطبع كل ذلك عبر عن فحوى المؤامرة، وكان علينا أن نتوقع أخطر أشكال المؤامرة، لقد جاء في بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي (إن انعدام الثقافة السياسية والمقاييس العلمية في التحليل والتفكير لا بد أن يؤدي إلى خلق التكتلات العشائرية والنفسية الاقطاعية داخل الحزب، ففي افتقاد التربية الديمقراطية وفي حال غموض عقائدي ايديولوجي تفسد العلاقات المبدئية الموضوعية بين المناضلين وتؤدي بالبعض إلى التفتيش عن روابط أخرى، وهكذا تنزلق قواعد الحزب إلى مجموعات فوضوية متخلفة تتمركز حول مفاهيم وصداقات واستزلام متخلف) ...

بعد ذلك، لو توقفنا قليلا وفكرنا بموضوعية وفتشنا عن الأسباب المساندة التي أدت إلى ما وصلنا إليه سنكتشف أنها ناجمة عن:

ـ عدم الانسجام مع الذات الوطنية والقومية وخاصة العقائدية منهما، بمعنى أننا في الوطن العربي أفكارنا وما نطرحه من علاقات قومية تربطنا ببعض في واد وممارساتنا في واد آخر، وهذا ما خلق اشكالية في نفوسنا نحن العرب يمكن أن تكون حالة من حالات الانفصام، فأصبحنا نحن لسنا نحن، تناسينا الماضي وقاطعناه، وخلقنا في حاضرنا مناخا ضبابيا ونحن نتوجه إلى المستقبل.

هنا يمكن التذكير بحقيقة ثابتة وبتجرد هي : أنه لا يحق لأحد أن يحاكم فكر البعث أو الفكر القومي الذي طرحته الأحزاب القومية، ذلك الفكر الذي جاء استجابة لحاجة جماهير الأمة العربية وللرد على طروحات ومشاريع أعدائها، ولإحياء مفهوم القومية العربية، كما جاء منسجما وروح العصر ومناخ المرحلة التاريخية، وذلك على الرغم من الثُبات الفكري والركود الذهني والخواء الثقافي الذي وقع فيه القوميون منذ مدة طويلة دون أن يحاولوا تقديم العلاج المناسب لينسجم مع ذاتهم القومية، وليؤكد حالة الديناميكية ككل الأحزاب الثورية في العالم، على الرغم من ذلك لا يحق لأحد أن يتهم الفكر القومي بأنه وجد دون الحاجة إليه، بل يجب الإشارة إلى أن التقصير الذي ارتكبه الأشخاص عن قصد أو عن غير قصد منهم هو ما أدى إلى ما نحن فيه من ويلات، أو على الأقل أدى إلى تغييب المشروع القومي ككل .

ـ تجاهل بعض أصحاب الشأن الحالة الديمغرافية في الوطن دون أي مبرر مما أدى إلى خسارة شريحة مهمة من شرائح المجتمع، مما دفع بالبعض من شباب هذه القاعدة العريضة من المجتمع ليكونوا وقودا للحرائق التي أشعلتها العصابات التكفيرية .

وهنا لا بد من العودة إلى نظرية المؤامرة لنقول : إذا كان أعداء الأمة العربية لم و لن يتآمروا على البعث العربي الاشتراكي ، الحزب الذي يشكل رأس الحربة في الصراع الأيديولوجي مع الامبريالية العالمية، الحزب الذي يدعو لقيام الدولة العربية القادرة على نقل العرب من وضع الاستقبال إلى وضع الارسال، الحزب الذي يعمل على تحرير إرادة الشعب العربي، الحزب الذي أطر الجماهير بمنظمات شعبية كان لها دور الريادة في تحفيز الوعي الوطني والقومي عندها، الحزب الذي قاد سوريا والعراق ورفع شأنهما إلى مستوى الدول الفاعلة والمؤثرة في القرار العربي والاقليمي والدولي، وجعل منهما عضوان في نادي الفضاء الدولي، وإذا كان هؤلاء الأعداء لم و لن يتآمروا على القطر العراقي، البلد العربي الوحيد الذي ظل خارج الحظيرة الأمريكية زعيمة الشر العالمي، والذي جاهر بموقفه ضد الرجعية العربية جهارا نهارا، ويقف في وجه المشروع الأمريكي الصهيوني، فإذا لم يتآمر أعداء

الأمة على البعث والعراق والتيار القومي فضد من ستكون المؤامرة في الوطن العربي وخاصة وأن العداء معلن، وصراعات كسر العظم منذ عقود يشنها الأعداء ضدها ؟ .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : إذا كان الأمر كذلك، ما هي الاجراءات الوقائية التي اتخذت لدرء خطر هكذا مؤامرة ولحماية الجماهير ؟ هذا مع العلم أن أعداء العروبة يعلنون مواقفهم بكل صراحة، وأحيانا يحددون أبعاد الأذيات السياسية والدبلوماسية وأحيانا مواعيد الضربات الأمنية والعسكرية ... ألم يقل كيسنجر بعد حرب أكتوبر 1973 : ستعمد بلادي لجعل الوطن العربي يغرق بالحرب الطائفية لمائة عام ؟ ألم تهدد كوندي بالفوضى الخلاقة ؟ ألم يهدد السياسيون في الغرب الاستعماري بسايكس بيكو جديد للوطن العربي ؟ .

ـــ استمرار العرب بلعب دور المستقبل، واصرارهم على التمسك بموقفهم الذي يعلنون فيه أنهم لا يرغبون على الاطلاق بلعب دور المرسل، هذا مع البيان أن العرب في عصور حضارتهم الانسانية المزدهرة لم يكونوا بوضع الاستقبال بل كانوا دائما بوضع الارسال، وحضارتهم كانت تشع إلى كل الدنيا، لماذا نحن اليوم ننتظر الاملاءات من الغير ؟ فإن دل ذلك على شيء يدل على أننا منهزمون نفسيا من داخلنا، وأصبحنا لا نملك أدوات انتصارنا، بدليل استجابتنا لدعوات الغرب الذي حولنا إلى مجتمع استهلاكي دون قيم .

نحن اليوم في مستنقع موحل جدا، العفن يخنقنا برائحته، والوحل يشدنا إلى أسفل، فلا بد من حل، ولكن ما هو ؟؟؟

لا بد من التركيز على تعزيز عوامل تقوية الذات القومية، التي بدون تعزيزها وإنمائها في النفوس إلى درجة الاعتزاز كما ذكرت لن يكون للأمة مستقبل، وهنا لا بد من التذكير بأن الانتماء الدموي هو التزام لا مفر منه، أما الانتماء العقائدي الروحي منه والفكري فهو حرية، بمعنى الانسان لا يستطيع أن يخرج من هويته القومية، وإنما يستطيع الخروج من هويته الفكرية، أو الدينية، هذه حقيقة، لأنه في الحالة الأولى (الد ن إيه) تلزمه، والحالة الثانية حدثت كثيرا، حيث انتقل الكثيرون من حزب إلى حزب ومن مذهب إلى مذهب ومن دين إلى دين، ووسائل الاعلام مؤخرا نشرت خبر مفاده أن مليون وسبع وسبعون ألف مسلم تركوا الاسلام وذهبوا إلى أديان أخرى، لكنهم بقوا بانتمائهم الدموي ضمن أبناء أقوامهم، ردا على ما يفعله هؤلاء التكفيريون في العراق والشام ... بالنتيجة يمكننا أن نعلن : أننا عرب أولا ثم ننتمي إلى أي دين، فنحن عرب مسلمون، أو عرب مسيحيون، أو عرب ننتمي إلى أي دين سماوي أو وضعي، والعرب كانوا قبل موسى وعيسى و محمد وكل الأنبياء والرسل والدعاة،...

لذلك لا بد من العودة إلى القومية العربية، وزج كل الطاقات العربية للدفاع عنها، ونعتقد اليوم وبسبب ما يدور من أحداث تهدد الشعور القومي أن هناك صحوة عربية على مساحة الوطن العربي على أثر شعورهم بالمؤامرة التي أعلنتها ما سمي بثورات الربيع العربي، هذه الصحوة من الواجب دفعها بكل الامكانيات المتاحة وزجها في الصالح القومي، ومن الواضح أن كل توجه قومي يهدف إلى تحقيق أي شكل من أشكال الوحدة أو على الأقل التضامن العربي يجد من يعمل على تخريبه بدفع من أعداء العروبة، وآخرها كما ترون المصالحة الفلسطينية الفلسطينية بين غزة والضفة وتشكيل حكومة موحدة، عملت الولايات المتحدة واسرائيل وبعض العرب على افشالها، وعندما لم يستطيعوا ذلك ذهبوا إلى الحرب المباشرة على غزة، والجميع يعلم : لم ولن تنتصر غزة أو

أي قطر عربي نصرا نهائيا إلا إذا تكرر الحد الأدنى من التضامن العربي كما حصل ابان حرب أكتوبر 1973 وهذا ما تعمل الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية على أفشاله و تدميرفكرته من الأصل .

للبعث العربي الاشتراكي تاريخ طويل في مواجهة المؤامرة، ورجاله متمرسون بالصراع ضدها وافشالها، ومؤامرة اليوم لها أكثر من وجه، والكل يعرف المؤامرات التي تعرض لها الحزب، وكان أخطرها تلك التي استهدفته من داخل التنظيم تلك التي أرادت أخذه مرات عديدة بعيدا عن أهدافه وشعاراته المبدئية، لكنها فشلت في حرفه عن مساره وفق بوصلته القومية.

أما مؤامرة اليوم فهي ذات جوانب متعددة :

ـ بنيوية : تتعلق ببناء الانسان، وخلق الأسباب لايقاع الفرقة بين أبناء الوطن الواحد .

لقد عمد الغرب بإيحاء من الامبريالية العالمية على ترسيخ السلوك الاستهلاكي الذي يجعل من أبناء الأمة فارغين في عقولهم، ويجعل جل همهم حشو بطونهم وإعمار جيوبهم وبذلك تستطيع القوى التي تضمر شرا بالأمة أن تأخذها بشراء ضمائر المتآمرين إلى حيث تريد بتوجيه هؤلاء المضللين .

متيقنين بأنه مهما بلغ العرب من الحنكة لن يستطيعوا اللحاق بمكر الرأسمالية التي تسعى لامتلاك الكرة الأرضية، ولكي تحقق غايتها فهي تعمل بكل جدية لتشتيت العالم وتوزيعه إلى كيانات صغيرة يصبح من السهل التهامها، مع سعيها لتوحيد كيانات توابعها لأنها تعرف أنهم إلى زوال إذا لم يتحدوا ويوظفوا كل قدراتهم في سبيل الوصول إلى أهدافهم المرسومة مسبقا، في حين يبقى العرب في قواقعهم يأكلون ذواتهم ويتناحرون حتى النهاية التي ستكون في صالح أعدائهم بالتأكيد . فلابد من توحيد كلمة العرب التي هي أولى شعارات البعث ...

ـ فكرية : عندما يتوقف أي متسابق في حلبة السباق يقدم بتوقفه هدية ثمينة لمنافسه، العرب هم السباقون في مجال الفكر والحضارة، وها هو (ويل ديورانت) يقول : أن اليونانيون لم ينتجوا الحضارة بل أخذوها عن العرب .

لكننا نحن العرب فقد تحولنا إلى متلقين عندما توقفنا عن الابداع وتحولنا إلى مقلدين، تناسينا أننا كنا أسياد البشرية، توقفنا عن انتاج الثقافة والعلوم حتى في مجال العقائد الفكرية التي نؤمن بها والتي أسسنا لها قواعد في أنحاء الوطن العربي الكبير دون أن نكلف أنفسنا عناء التفكير النقدي على الأقل لإحياء ما أبدعناه ابان مرحلة النهضة العربية التي أنتجت استقلال أوطاننا العربية .

ـ اقتصادية : الوطن العربي يمكنه أن يشكل حالة تكامل اقتصادي لا تستطيعه أي مجموعة دولية أخرى، ولكن الذي يحصل سواء بعدم التفكير بالبحث عن حالة بديلة، أو عدم السعي لخلق كونتونات اقتصادية عربية تصب في خانة العرب جميعا، أو عدم التنسيق فيما بين العرب لمواجهة السياسات الاقتصادية المناوئة التي تكن العداء لهم، أو تشتت امكاناتنا الاقتصادية، كل ذلك ألا يدفعنا إلى التفكير كبعثيين بأن المؤامرة تكمن وراء عدم تكامل الاقتصادات العربية ؟ ويبقى البعث بفكره يقدم الحلول الأمل..

ـ أمنية وعسكرية : بالطبع الأعداء دائما يسعون إلى إضعاف الجيوش العربية وخاصة الجيش الذي يحمل العقيدة القومية عقيدة البعث ، وذلك بعد إضعاف القوى السياسية والاقتصادية وتخلخل البنى الاجتماعية للوطن، ومنذ بداية ما سمي بالربيع العربي كان من الواضح أن المستهدف هو الجيوش العربية التي يمكن أن تجابه الجيش الاسرائيلي، وبالتالي يمكن أن يدخل ذلك في عنوان المؤامرة الكبرى على الجيوش العربية في سوريا والعراق ومصر، هذا بالإضافة إلى المنظمات والأحزاب الوطنية والقومية التي تملك جناحا عسكريا يقاتل ضد اسرائيل أو على الأقل يهدد أمن الكيان الصهيوني .

ـ أخيرا لا آخرا : حالة الترهل والاستكانة وعدم الجدية التي حصلت في قواعد الحزب، تلك التي خلقت بونا واسعا شاسعا بين البعثي والحزبي، والتي لا يمكن أن يتهم شخص بعينه بأنه وراءها إنما هي حالة عامة جاءت مع مرور الوقت وفي ظروف الغفلة ونتيجة تسارع الأحداث المحلية والاقليمية والدولية والنمطية التي تمثلت في سلوك بعض الحزبيين بالتدريج، فأصبح الجميع يحتاج إلى إعادة توضيح وفهم معاني المصطلحات الفكرية التي كانت تشكل الأفق الثوري للبعثيين، وإلى تطوير محتوى الأدبيات النظرية التي تحتوى في مضمونها المسائل الثقافية والتنظيمية لتنسجم مع الواقع المحلي والعربي ولتتناغم مع أدبيات الأحزاب الثورية الصديقة في العالم، لأن الجماهير تتلقف اليوم الفكر القادم من الشرق والغرب ومن كل الاتجاهات عبر الأثير التكنولوجي الحديث السريع العابر للحدود مما يعرضها إلى الاضطراب والتشوش في حال تعثر البعثيين عند لعب دورهم في محيط ومناخ الشباب بشكل خاص والجماهير بصورة عامة .

اليوم من المفضل أن يفكر البعثيون بالعودة إلى نهج البعث الثوري، مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الأيام بأن الثورية كمصطلح تتحايل عليه بكل أسف الأمبريالية العالمية فتسرقه وتتبناه وتلصقه بالعصابات الاجرامية التي تدعي الثورة بدءا بما سمي بثورات الربيع العربي، بالطبع تقصد بذلك الإساءة إلى مفهوم الثورة وسلوك الثوار .

لا يمكن أن يتحقق الانسجام بين الفكر والممارسة إلا بالعودة إلى الأهداف والشعارات بأن يتمثلها الجميع في سلوكهم ويعملوا على تطويرها، أو أن يطوروا أهدافهم وشعاراتهم لتتوافق مع ممارساتهم، أحد طرفي المعادلة يجب أن يذهب باتجاه الآخر ليتحقق الانسجام المنطقي .

سيبقى البعث العربي الاشتراكي هدفا للمؤامرة لأنه حزب وطني قومي مقاوم ممانع جماهيري بامتياز، وهو بفكره وقيمه مستعد دائما للتصدي لكل أشكال المؤامرات التي تستهدف الفكر والفعل القومي المتميز لافشالها واسقاطها، وتتجلى عظمته في أنه وعى منذ اللحظة الأولى لتأسيسه أن المستقبل مرهون بالأجيال القادمة بعد اعدادهم فكريا وسلوكيا وتقنيا، فلا بد من التواصل الدائم مع جماهيره من كل الأجيال، وإعادة تأهيلهم بعيدا عن الجهلة المهملين من الكبار .